



العظماء الأخفياء يقول الناس عنهم: الجنود المجهولون، وأقول عنهم: إنهم العظماء الأخفياء.. إنهم الذين حكموا صلتهم بالله ، وتجرّدوا عن أهواء النفس ومطامع الدنيا، فلا يحبّون الظهور، ولا يسعون إلى الأضواء ، ولا هم إلا العمل بطاعة الله ،
وبلوغ مرضاه الله ..

العظماء الأخفياء هم الذين تأبى عليهم همهم أن يشتغلوا بالسفاسف والدنيا ، لا يدعون ولا يتبرجّون ، ويعملون أكثر مما يتكلّمون ، ويعملون بصمت ، ولا يشغلون أنفسهم ولا أوقاتهم بالجدال ، وكثرة القيل والقال ، وتسلیط أسمهم النقدي بغير بینة
ولا برهان ..

العظماء الأخفياء هم الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، وبصبرون على أشدّ البلاء ويعتسبون ، ويتجالّون ولا يستكينون ..
ويحملون الأمانة بصدق ، ويتحمّلون المسؤلية باقتدار ، ويكترون عند الفزع ، ويقلّون عند الطمع ..
لقد علّمنا التاريخ أنّ ثورات المبادئ الحقة لا بدّ لها أن تقدم نماذج فذة من المواقف الإنسانية والأخلاقية ، التي تكشف عن
شرف مبادئها ، وسموّ مقاصدها ..

ولقد دأب أكثر الناس على أن تبهرهم الصور الظاهرة ، التي تبرز للعيان ، والمواقف التي تسلط عليها الأضواء ، ولا يكأفون
أنفسهم عناء البحث والتحرّي عمّا سوى ذلك ..

بهر العالم وشهد وأقرّ أنّ « الشعب السوريّ هو محضن الثورة » ، وأقول : « إنّ الشعب السوريّ هو محضن الثورة ..
والمرأة السورية هي محضن الشعب والثورة » هي محضن الطفل والشاب ، والرجل والشيخ .. هي راعية البيت وحافظة
العهد ، هي الداعمة المؤيّدة ، والصابرة المحتسبة .. تعمل بدبّ بعيدة عن الظهور والأضواء ، فعملها أبعد عن حظوظ
النفس والرياء ..

نعم ! المرأة هي محضن الثورة والشعب .. إنّها حقيقة ظاهرة للعيان ، لا تقبل الجدل والمراء ، ومن ثمّ فقد كان حظّها من

إجرام الطاغية وزبانيته ، وسلطتهم وعدوانهم لا يقل عن حظ الرجل ، وربما فاقه في بعض المواقف .. وحق لهن أن توجه الأنظار إلى تصحياتهن ، وأن تخلد أخبارهن في سفر ، وتوثق مواقفهن ، ليكون أسوة حسنة لمن بعدهن ..
لقد قدّمت المرأة في سوريا خنساوات ، بهن العالم بتصحياتهن وصبرهن ..

طوبى لهن خنساوات سورية ، وما خنساوات سورية ! حلقت أخبارهن في سماء المجد ، وفاقت أخبار خنسائنا الأولى ،
بعدما كانت لهن المثل الأعلى ، وكنا نظن أن لا يأتي الدهر بمثلها .. وهذه بعض المشاهدات والمشاهد :
امرأة في الثمانينات من العمر، رأت في هاتين السنتين من البلاء ما لم تره في حياتها كلها .. فقدت اثنين من أبنائها ،
وخمسة من أحفادها ، وكتب عليها الخروج من قريتها ، تحت نيران القصف والقنابل والدمار .. تعيش اليوم في خيمة
اللجوء مع اللاجئين صابرة محتسبة ، تقضي جل وقتها في خيمة المسجد ، مع القرآن الكريم ، الذي حرصت على حمله في
رحلتها .. تنتظر الفرج والنصر بفارغ الصبر .. سألهن : ماذَا تفعلين يا خالة ؟
قالت : « كما ترون ! أقرأ القرآن ، وأدعوا للثوار ، وأدعوا على بشار .. الذي قتل رجالنا ، وخرّب ديارنا ، وشرّدنا عن بلادنا ..
« .

وبنات في عمر الزهور، لم يتجاوز عددهن أصابع اليد الواحدة ، يشكنن تجمعاً خاصاً بهن ، يسمّنه: « فتيات سوريا الحرّة » ، يكتبن الشعارات الثورية على الأوراق ، ويصنعن الأعلام ، ويرسمن الصور المعبرة عن الثورة والمظاهرات ، ويقدمن ما يصل إليهن من الأموال للإغاثة وللجيش الحر .. والسؤال الذي اختلفن فيه:
ما هو أثوب لنا عند الله: دفع المال للإغاثة، أم للجيش الحر ؟
وقالت إحداهن بكل صدق وبراءة: كلّما رأيت طفلاً من أطفال سوريا مقتولاً تمنّيت أن أكون مكانه .
فقلت لها: لماذا ؟

قالت : لأنّه سيدخل الجنة .. فقلت في نفسي : ما أصدق - والله - قول الشاعر الجاهلي في أطفالنا :
إذا بلغ الفطام لنا صبيٌ * تخرُّل له الجبارُ ساجدina**
وليتعلم الأذلة الخانعون معنى العزة والرجلة ، والشرف والمرءة ..
وأمّ تحثّ أبناءها السبعة على الخروج في المظاهرات السلمية، واحداً بعد الآخر، وتعلن لهم أنها على استعداد أن تتقدّم التهنئة
كلّ يوم بشهيد منهم ، ولكنّها يصعب عليها أن يستشهدوا في يوم واحد ..
وأمّ لا تقبل التعزية باثنين من أبنائها ،
وتقول: إنّ الله شرفني بشهادتهم ، وقد تكرّر مثل هذا الموقف من عدة أمّهات ..

وزوجة كانت ناعمة مترفة ، لا تعرف إلا البحث عن الزينة ورفاهية العيش ، يحدثها زوجها عن فضل الجهاد في سبيل الله ،
ورغبته فيه ، لنصرة الدين والدفاع عن المستضعفين ، فتنقلب حياتها إلى امرأة لا هم لها إلا الله والدار الآخرة ، وتشجّع
زوجها على الجهاد وتحثّه ، وتقول له : امض لما تريده ، ولا تحمل أيّ همّ علىّ أو على أولادك، فسأقوم عليهم بما يرضي الله ،
ويقرّ عينك ..

ومواقف كثيرة من زوجات صالحات شجّعن أزواجهن على المضي في طريق الجهاد ، وكنّ خير عون له على ذلك .. وهل
للرجل أن ينجح في عمله ويبدع ، إن لم يكن وراءه سند يؤيده ، ويشدّ من أزره ؟!
إنّا لنرجو من الله أن تكون هذه الثورة مبتدأ ثورة حضارية لهذه الأمة ، تضع قدميها على سكة السبيل القويم ، والمنهج الحقّ
، وتعيدها سيرتها الأولى في حمل لواء الهدى والرحمة للعالمين ، وتلك أعظم مهمّة في حياة البشرية ، فلا عجب أن تكون
دونها ابتلاءات كبرى ، وتصحيات جسام ..
وقد كانت هذه الأمة على مدار تاريخها ، بعقيتها الحقة ، ومنهجها النبوّي الرشيد ، محور تلك الابتلاءات والتصحيات ،

وقدّمت أروع النماذج في الذود عن حياض الحقّ ، وصون الحرمات ..

ولا يعني هذا الكلام أني أبرئ هذه الثورة من الأخطاء ، وأتجاهل السلبيات ، ولكنني أريد أن أقول لأولئك المتجاهلين لصورتها الوسيئة ، المتصيّدين لعثراتها ، الذين يبحثون عن الأخطاء والسلبيات ليضخّموها ، وينشروها على الناس ، وليبرّوا لأنفسهم التفاسع عنها ، والتعود عن نصرتها ، أقول لهم : رويدكم أيّها الناس ! فالثوب الأبيض لا يغير لونه بضعة نقط سوداء ، والماء العذب لا يعكّر صفوه بعض الأذاء ، والمصلح المهدي لا يصدّه عن الإصلاح العلل والأدواء ..

أيها الناس ! لقد هبّت ريح الإيمان على بلاد الشام ، فطوبى لمن تعرّض لنفحاتها ، وحمل لواها ، أو كان من جندها .. فإنّ جند الله هم الغالبون ..

المصدر: رابطة العلماء السوريين

المصادر: